دور الخطباء في حل الأزمة الراهنة

■ الخطيب هو نائب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على منبر الهدى وذلك في دعوة الناس إلى الحق وبيان التعاليم السماوية والواجبات الدينية وكل ما يجب أن يكون عليه الناس في عباداتهم ومعاملاتهم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:»انه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم بلغوا عني ولو آية» وكون الخطيب مكلفاً بالبلاغ والبيان والدعوة إلى الله نيابة عن المصطفى فإن الواجب عليه أن يتخلق بخلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الموصوف من الله تعالى بالعظمة لقوله تعالى:»وإنك لعلى خلق عظيم»، المأمور باللين والتواضع وخفض الجناح لقوله تعالى:»وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» مبينا له أن الغلظة والشدة تنفر الناس من الداعية إلى الله وتبعدهم عنه »ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك« ولذلك فإن الخطيب بما أنه مكلف بالدعوة والبيان يحب أن يكون ذا خلق متواضع ليناً صادقاً في طرحه سليم القلب صافي السريرة وفوق كل ذلك مخلصاً في دعوته مطلبه إرضاء الله لا تؤثر فيه المغريات ولا تحوله المعطيات ولا يصعب عليه حل المشكلات لا يفرض قناعته الشخصية على الآخرين قلبه واسع وكبير يتسع لكل المصلين محب لعامة الناس يحترم قناعة كل فرد يحتكم للحجة والبرهان والدليل من الكتاب والسنة لا تغلب عليه الحزبية ولا يقبل على نفسه التعصب لفئة أو طائفة، لا يتناقض في أقواله ولا يخالف قوله فعله ولا تقوده نفسه أو يتبع هواه، يجمع الناس لا يفرقهم، يدعو إلى التعاون على الخير، لا يحرض لفعل الشر وما أحوجنا إلى هذا الخطيب خاصة في وقتنا الحاضر والوطن يمر بظروف صعبة وأزمة أخلاقية واقتصادية وتفكك أسري حيث فقد الكثير من الناس ثقتهم بالخطيب ولم يعد لكلام البعض من الخطباء أي وزن أو تأثير وذلك لما يسمع ويشاهد عامة الناس من خطب تحريضية وتعصبات حزبية واتخاذ البعض للمساجد دور العبادة وخير البقاع إلى الله مقرات حزبية أو ثكنات قتالية وتتضح للناس تناقضات في الفتاوى بين الحاضر والماضي وتجاوزات على الأوامر السماوية والنواهي واختراقات للتعاليم الدينية وبهذا يضيع دور الخطيب بمواقفه السلبية وأعماله المخالفة وأقواله المتناقضة وتعصبه الأعمى بينما أن الأصل في حل هذه الأزمة بل وكل مشكلة ومعضلة هو الخطيب العالم الداعي إلى الخير، لسان الحق ولا يكون كذلك إلا من قام بدوره على أكمل وجه وأفضل صورة وأحسن سلوك فإذا كان الله تعالى بيّن في القرآن الكريم بنص واضح أمرا لهم فيه وجوب طاعة ولي الأمر بقوله:»وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك وضح أن طاعة الأمير أي ولي الأمر انقياد لله ورسوله وعصيان الوالي فيه عصيان لله ولرسوله كما في الحديث:»من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصى الأمير فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله»، وأنه لا يجوز الخروج على الحاكم ما لم يأمر أو يعلن عن الكفر البواح وغيرها من الآيات والأحاديث التي توجب الطاعة وعدم الخروج والعصيان، واستدل من الكتاب والسنة بما جاء دون تحريف أو تأويل بغرض التضليل لما كان ما يجري اليوم في الساحات من خروج واستخدام للألفاظ البذيئة ولو أن الخطيب بين كيف يعالج الفساد وكيف يدفع الضرر وأن الضرر لا يتم إزالته بالضرر كون ذلك سيفضي لما هو أضر، لما حدث ما يعانيه الشعب من فساد واحتكار ومحاربة حتى في الضروريات وخراب وإزهاق للأرواح لو أن الخطيب تجرد من الحزبية وتخلص من الفتاوى الشيطانية والاطماع الشخصية والنظرة السلبية وحكم بما جاء في الكتاب والسنة ولم يحتكم لأقوال دعاة الضلال وأقوال مشائخ الأهواء لما صرنا إلى ما أصحبنا فيه، لقد تحول الخطيب عن دوره فتحول الله له عما يريد أن يحقق ويطمع أن يصل وذلك جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه:»أن قل لقومك أنه ما من أناس ولا أهل بيت أو قرية كانوا على طاعتي فتحولوا إلى معصيتي إلا تحولت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون وأن ما من أناس كانوا على معصيتي فتحولوا إلى طاعتي إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون وقل لهم ان رحمتي سبقت غضبي فلا يتعرضون معاندين لسخطي« وهنا يحذر الله تعالى من التحول من الأحسن إلى الأسوأ ويحذر من التعرض لمعاندته جل جلاله ويبين أن رحمته سبحانه سبقت غضبه ورحمة الله وسعت كل شيء فمن تحول عن رسالة المسجد والقيام بدوره إلى السعي في تحقيق غاية أو مصلحة فقد عاند وتعرض لسخط الله وإذا كان هذا التحول ليصل إلى ما يحب أن يصل إليه فلن ينجح ولن يظفر أو يتمكن وسوف يتحول الله له مما يحب إلى ما يكره ولذا فإن الواجب على كل خطيب أن يبين الحقائق التي يجب الأخذ بها والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى العيش الكريم والتداول السلمي الآمن والتعامل مع الحكام على ضوء الكتاب والسنة والتي تنهى عن النزاعات والاختلافات وإيجاد الخلافات وتشتيت الشمل والحث على اتباعها والتبيان للناس أن حل الأزمة الراهنة لا يكون إلا بالرجوع إلى شرع الله والتراحم فيما بين الناس ونبذ الخلافات الحزبية وأن الفساد لا يزال بما هو أفسد وأن يكون الخطيب داعيا للخير والسلام، مرسخا للأمن والاستقرار، محببا إلى كل ما من شأنه أن يقرب العباد من رب العباد، يحبب الله إلى عباده وكما جاء في الحديث:»ان أقواما على منابر من نور يوم القيامة» وبما قال صلى الله عليه وآله وسلم «يحببون الله إلى عباده ويحببون العباد إلى الله قالوا قد علمنا كيف يحببون العباد إلى رب العباد فكيف يحببون الله إلى عباده؟ قال: يأمروهم بما أحب الله وينهوهم عما يكره فإذا أطاعوهم أحبهم الله»، أو كما قال دور الخطيب أهم العوامل في حل الأزمة بل وعدم ظهور أي أزمة إذا اتقى الله في دعوته ولم يمل خطابه أو يوظف خطبته لتحقيق مصلحة أو لغرض منفعة.. وإني أدعو إخواني الخطباء للقيام بدورهم كما يحب الله لا كما يريد الحزب، فالله خير وأبقى.. أسأل الله تعالى أن يفرج عنا وأن يحببنا إلى بعضنا وأن يجنبنا الميل وأن يحفظ بلادنا ويمن بالشفاء على رئيسنا وأن يردنا إليه ردا جميلا.

خالد علي الصاحب
* مدير التوجيه والإرشاد بأمانة العاصمة

اتباع الهوى

●،، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الله تعالى :(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)

نظرة واحدة في هذه الآية الكريمة تبين لنا خطورة اتباع الهوى واستفحال ضرره وأثره السيئ في توجيه الإنسان لاسيما إذا اتخذه الإنسان إلهه وقبلته وقائده ومرشده، يأمره فيمتثل، ويزين له فينخدع، ويدعوه فيستجيب له، لا يؤمن إلا بما يدعوه إليه ولا يصدق إلا ما يمليه عليه ولا يعمل إلا بما يوحيه له.

محمد عبدالغني مصطفى

وإذا بلغ الهوى بالإنسان إلى هذا الحد فليس للعقل معه حجة قائمة، ولا للعلم معه برهان نافع ولا للدين معه منطق صحيح لأنه في هذه الحالة يعتقد الباطل حقاً والكذب صدقاً والضلالة العمياء هداية ورشاداً، وربما دافع عن كل هذه الرذائل بعقيدة ثابتة وإيمان عميق، ومثله حينئذ مثل الأحول الذي يرى الواحد اثنين.

فالمتبع لهواه عين بصيرته حولاء، لا تبصر الأشياء على حقيقتها، فلا يميز الخبيث من الطيب ولا الحرام من الحلال ولا الضار من النافع، (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم)، فاتباع الهوى يضل عن الحق ويحجب عن العيون والقلوب نور الصدق.

وإنه كثيراً ما حال بين الأمم والهداية والرشاد، مهما وضع طريق الحق لعقولهم ومهما كان متوهجاً أمام أبصارهم لأن ظلمة الهوى قاتمة وقوته متحكمة وسلطانه باطش جبار، لا يخرج من قبضته أحد ولا ينجو من شركه إنسان.

لا ينجو منه إلا أصحاب العقول القوية والطباع الزكية والفهم العميق لمشاكل الدنيا ومعضلات الحياة ، فأخذوا منها كل نافع ومفيد وتركوا كل تافه وضار.

(أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)

ولو أنك تأملت روح الدين ولبه وأصوله وآدابه لوجدتها كلها تهدف إلى شيء واحد ألا وهو محاربة الهوى في الإنسان، فما شرع التوحيد إلا ليحارب في الإنسان هوى الكبر والغرور، وما شرعت الصلاة إلا لتحارب في الإنسان هوى البطالة والكسل، وما شرعت الزكاة إلا لتحارب في الإنسان هوى المال والجاه، وما شرع الصوم إلا ليحارب في الإنسان هوى الطعام والشراب، وما شرع الحج إلا ليحارب في الإنسان هوى الأولاد والأوطان، وما شرع الجهاد إلا ليحارب في الإنسان هوى النفس والدنيا.

وهكذا يريد الله تعالى من الإنسان أن يكون مثلاً أعلى في الجمال والكمال، ولذلك حدث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن خطورة اتباع الهوى وأنه هو السبب في إعراض الكفار عن الدين (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغيري هدىً من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

ومعنى الهوى في الإنسان: هو تلك القوة الشريرة التي تجذب الإنسان إلى الشر وتحمله عليه فالهوى أصل كل جريمة وسبب كل معصية ومنبع كل طغيان.

فما عبدت الأصنام ولا حورب الرسل ولا خولفت الكتب ولا سفكت الدماء ولا وئدت البنات ولا أكل الربا ولا شرب الخمر ولا ارتكب الزنا ولا أهمل الدين إلا باتباع الهوى، فالهوى هو العقبة الكؤود في طريق الأنبياء والمرسلين والمصلحين والمرشدين (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون).

والهوى في الإنسان قلعة جارفة ولا تزيلها إلا الطاعة لله تعالى، بالصلاة كل يوم خمس مرات ويدعمها كل أسبوع بالوعظ والإرشاد.

ولذلك أمر الله تعالى بالمحافظة على تقويمها، (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)، (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

فإذا أهلمت هذه الصلوات فلابد أن يعصف بالإنسان الهوى وتنطلق به الشهوات وينقلب رأساً على عقب، فبعد أن كان رجلاً كاملاً يفعل الخير يصبح وحشاً مفترساً يفعل الشر ويحرض عليه.

ومهما تسمعه بعد ذلك من وعظ إرشاد أو تلقي عليه من خطب أو تتلو عليه من قرآن لا يمكن أن ينتفع أو يستفيد لأن الهوى أطفأ في قلبه نور الله وملأ أذانيه بالأتربة فلا يسمع لله حكمة ولا نصيحة ولا ينظر لله آية ولا عبرة ولا يسمع له دعاء ولا نداء، (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)، (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً).

× خطيب مسجد الحسن بن علي

ثالث «الراشدين».. أول خلافة بالشورى

أ.د. قصي الحسين

■ عاشت المدينة عاصمة الخلافة يوم طعن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلاً مكفهراً تملك القلوب في أثنائه حزن مخيف، وزفرت الصدور آهات الغضب للمصرع الجلل، وقضى الناس بها ليلهم واجمين مضطربين، وقد أغرقوا بالبكاء والنشيج، وبلغت الصدور الحناجر، وشعر جميع المسلمين، بأن ما نزل بهم من ويل وثبور، لهو من عظائم الأمور، ويكاد أن يكون فوق طاقة الناس على الاحتمال، وفوق قدرتهم على الاصطبار .

لقد أدرك الفاروق رضي الله عنه عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، تلك الطعنة المسمومة والخبيثة، أنه لا بدّ من قضاء الله عز وجل، وبدأ يفكر فيمن سيخلفه من الرجال . وكان يعلم أن علياً رضي الله عنه من أفضل رجالات الصحابة لتولي هذا الأمر من بعده، غير أنه خشي أن يعتقد المسلمون أن مثل هذا الأمر هو من حق بني هاشم، وهذا ما لم يعهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في حياته، فكيف يسير به عمر رضي الله عنه بعد مماته؟

تدبير محكم

ولمعت للفاروق وهو في أوج استغراقه في مآل الخلافة، أن الأمر هو من حقوق المسلمين جميعاً، فلماذا لا يتركهم وشأنهم يختارون للولاية عليهم من يشاؤون؟ ولما استقر به الرأي على ذلك واجه أصحابه وأولي الشأن من قريش وقال: "عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته، وأعينوه، وإن ائتمن أحداً منكم فليؤد إليه أمانته" . ثم دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام . فلما مثلوا أمامه قال لهم: "إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض . إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنما أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة، فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم" . ثم قال: "فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب ولا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم . ويحضر عبدالله بن عمر مشيراً، وليس له من الأمر شيء وطلحة بن عبيد الله شريككم في الأمر وكان غائبا فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم، وما أظن إلا أحد هذين الرجلين سيلي أمركم: علي أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعابة . وأحرى به أن يحملهم على الحق" .

ونادى سيدنا عمر رضي الله عنه أبا طلحة الأنصاري وقال له: "يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم . فخذ خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث بهم هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم" . ونادى على المقداد بن الأسود وقال له: "إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم . وأحضر معهم عبدالله بن عمر وقم على رؤوسهم . فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً واحداً وأبى واحد، فاشدخ رأسه بالسيف . وإذا اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما بالسيف . فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر . فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس" .

انتخاب عثمان

وبعد وفاة أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه اجتمع رجال الشورى وكانوا يعدون خمسة نفر: علي وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وحضر عبدالله بن عمر، وكان طلحة لا يزال غائباً . وكان المسلمون يعلمون أن الخلافة بين أحد رجلين: علي وعثمان . وذهب أنصار علي يؤيدونه، وعمد أنصار عثمان إلى تأييده أيضاً . وحين رأى عبد الرحمن بن عوف ذلك الانقسام الشديد، أخرج نفسه من الأمر . وبدأ يقوم بالمشاورات بين أهل الرأي وأهل الشورى، فوجد ميلاً إلى تولية عثمان رضي الله عنه . وأحس الإمام علي كرم الله وجهه بانفضاض الأصوات من حوله مما أغضبه وأثار غيظه . فكان أن بادر عبد الرحمن إلى مناجاتهما ليلة حتى الصباح . ثم جمع رجال الشورى ورهطاً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد . ودعا عبد الرحمن عثمان رضي الله عنه وبايعه بالخلافة ورفع رأسه ويده في يد عثمان فقال: "اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان" . فقال علي رضي الله عنه: "ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا . فصبر جميل والله المستعان . والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك" . فقال عبد الرحمن: "يا علي لا تجعل على نفسك حجةً وسبيلاً . فإني قد نظرت وشاورت الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان" .

ويقول المؤرخون إن علياً رضي الله عنه عاد بعد ذلك ببرهة صغيرة إلى المسجد حيث كانوا يجتمعون وبايع عثمان . وروى الطبري في تاريخه أن علياً تلكأ في بيعة عثمان، فقال عبد الرحمن بن عوف: "ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً"، فرجع الإمام علي رضي الله عنه يشق الناس حتى بايع .